الفصل الثاني عشر

قبائل الشرير

الإيقاظ بغتة

أولا — لمحة عن منطقة النوير

قدر ايفانز بريتشارد عدد أفراد قبائل النوير — وقت اجراء البحث — بحوالى ٢٠٠ر٠٠٠ نسمة • وهو يصفهم بأنهم طوال القامة ، ولهم رؤوس قليلة العرض[١] • وقد قدم لنا عددا من الصور الفوتوغرافية توضح لنا شكلهم •

وتلعب البيئة الطبيعية دورا هاما فى حياة السكان • ففى شهر مايو من كل عام تبدأ الامطار فى السقوط بغزارة ، الامر الذى يؤدى الى فيضان الانهار • حتى اذا ما جاء شهر يونيو ، تكون غالبية المناطق قد تحولت الى مستنقعات هائلة • وفى خلال فصل الامطار يعيش النوير فى قراهم التى يقيمونها فوق روابى عالية لتحميهم من مياه الامطار • وفى ذلك الفصل ، يشتغلون بزراعة الذرة ورعى الماشية • وعندما ينتهى فصل الامطار ، يخرج الاهالى ومعهم ماشيتهم يرتحلون بها من مرعى الى آخر ، ويقيمون لهم مخيمات فى كل مكان يحلون به • ويستمر الحال كذلك حتى يبدأ سقوط المطر ، وعندئذ يسارع الاهالى بالعودة الى قراهم ثانية •

وتلعب الماشية دورا هاما فى حياة النوير • ويقول ايفانز بريتشارد اننا اذا أردنا أن نقدم أحسن نصيحة للباحث الذى يريد أن يفهم السلوك الاجتماعى للنوير ، فلن نجد خيرا من تلك العبارة « فتش عن البقرة[٢] Cherchez la vache » • فمن ناحية التغذية نجد أن الاهالى يعتمدون على لبن الماشية ، وبصفة خاصة بالنسبة للاطفال ، ومن ثم فانهم يقدرون قيمة البقرة تبعا لمقدار كمية اللبن الذى تدره • والنوير مغرمون بأكل لحوم

---

(١) E. E. Evans-Pritchard, The Nuer (Oxford, 1940), p. 3.

(٢) Ibid, p. 16.

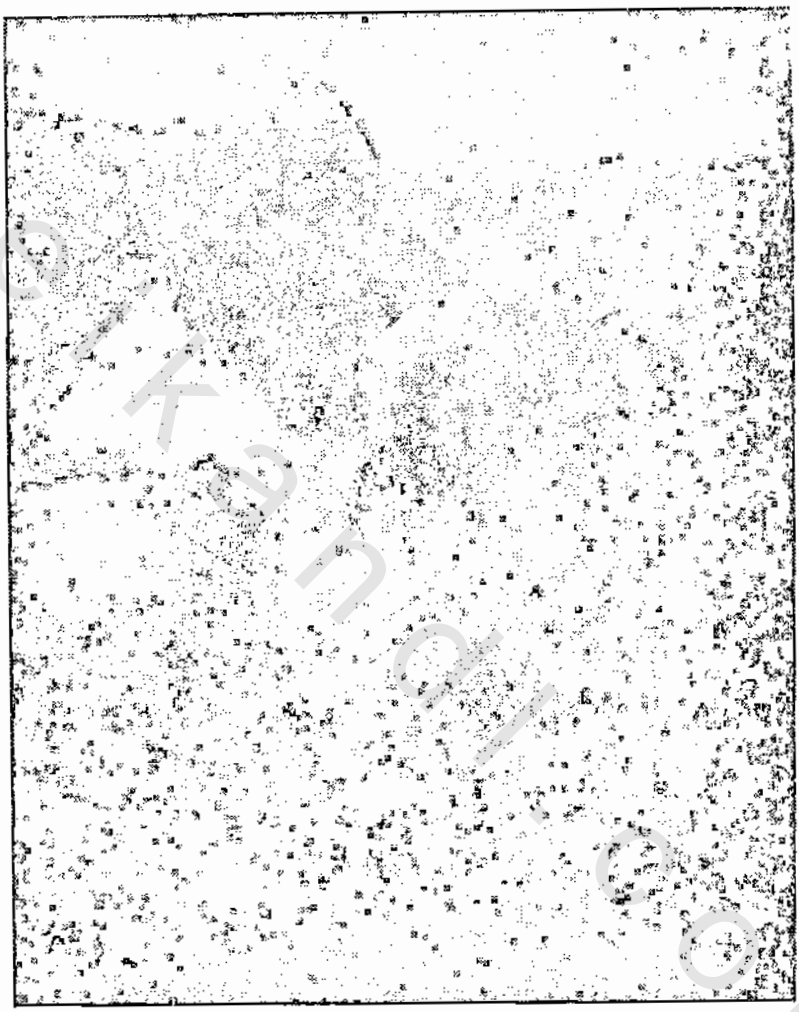

أحد الثيران فى بلاد النوير . ويلاحظ
أن هناك شرابة معلقة فى كل قرن .

obeikandl.com

obeikandl.com

الماشية ، كما أنهم لا يحرمون أكل الميتة والدم . فاذا مات الثور أو الخروف ميتة طبيعية ، فانهم يقومون بأكل لحومها .

ولكن كيف يحصل الاهالى على دماء الماشية ؟ يذكر ايفانز بريتشارد أن النوير — كما هو الحال عند كثير من القبائل التى تشتغل بالرعى فى شرق افريقية — يستخرجون الدم من رقاب الماشية،ويأكلونه أثناء فصل الجفاف. وتتلخص طريقتهم فى استخراج الدم فيما يلى : يقوم النوير بربط حبل حول رقبة البقرة باحكام شديد حتى تظهر عروق الدماء بها ، وعندئذ يطعنون أحد العروق بسكين ، فتسيل منه الدماء فى وعاء يعد لهذا الغرض . وعندما يمتلىء الاناء بالدم ، فانهم يفكون الحبل من حول رقبة البقرة ، ثم يضعون بعضا من روث الماشية فوق الجرح ليلتئم . وبعد ذلك تقوم النساء بغلى الدم فى الاناء حتى يتجمد ، ثم يقدم للاكل بعد ذلك . وفى أحيان أخرى يترك الاهالى الدم — بعد استخراجه من رقبة البقرة — فى الاناء حتى يتجمد . ثم يقومون بشوائه على بعض من الجمر ، وبعد ذلك يقطعونه الى أجزاء ثم يقدم للاكل بعد ذلك[٣] .

ومن أجل الماشية نجد أن القبائل تتقاتل فيما بينها ، وتغير على جيرانها . كذلك نجد أنها وسيلتهم لدفع المهر ودفع الدية وتقديم القرابين للارواح . والواقع أن الاهالى لا يملون الحديث عن الماشية فى أى وقت من الاوقات . واذا حدث وبدأت الحديث معهم فى أى موضوع من الموضوعات فان الحديث — ولا شك — سوف يتطرق الى العجول والبقر والثيران !! .

---

(٣) Ibid, p. p. 27—28.

وأرض النوير غنية بالحيوانات والطيور • فهناك الفيل والنمر والاسد والحمار الوحشى وفرس النهر والقردة والغزال والزراف • ومن الطيور الموجودة هناك نذكر النعام والاوز والبط • والنوير يأكلون كل الحيوانات ما عدا آكلات اللحوم منها والقردة والحمار الوحشى • وهم يصطادون النمر والحمار الوحشى لاخذ جلودها ، أما الاسود فانهم يقتلونها اذا ما أصبحت خطرا يهدد ماشيتهم •

وبالرغم من وفرة الحيوانات بالمنطقة ، فانهم نادرا ما يخرجون للصيد ، وهم يفضلون بصفة خاصة صيد الغزال والزراف • ويذكر ايفانز بريتشارد أن النوير ليسوا مهرة فى الصيد ، وهم يحتقرون الصيد بصفة عامة لانهم يعتقدون أن عدم وجود الماشية لدى الانسان هو الذى يدفعه الى الاتجاه لصيد الحيوانات • والنوير لا يأكلون من الزواحف سوى التمساح والترسة ، كما أنهم يرون أن من العار أن يأكل المرء الذى بلغ مرحلة الرجولة لحم النعام أو الاوز أو البط • ولا يوجد عندهم من يفعل ذلك سوى الاطفال وكذلك الفقراء الذين لا يملكون ماشية • وهم لا يقدمون على ذلك الا فى أوقات القحط الشديد ، كما أنهم يأكلونها فى الغابات بعيدا عن أعين الناس •

والنوير لا يربون الدجاج فى منازلهم ، وهم لا يحبون أكل لحومها وبيضها[٤] •

ويتكون منزل الاسرة من كوخ (أو عدة أكواخ) وحظيرة للماشية • وللحظيرة أهمية خاصة عند النوير • فالماشية تنام فيها أثناء فصل الامطار، كما أن بعض الشبان من الاسرة ينامون فيها أيضا • ويوجد فى وسطها نار موقدة ليلا ونهارا لحماية الماشية من البعوض • ومن الناحية الاجتماعية،

---

(٤) Ibid, p. 73.

فتـــاة تحلب البقـــرة

obeikandl.com

obeikandl.com

تعتبر الحظيرة مركزا للحياة الاجتماعية بالقرية • فالاهالى يقضون وقت فراغهم بها ، كما أنهم يستقبلون فيها ضيوفهم كذلك • والواقع أن مجرد مشاهدة الحظيرة أمر له مغزاه الاجتماعى • فاذا مر انسان بجوار منزل الاسرة ، ولم يجد هناك حظيرة للماشية ، فانه سوف يستنتج فورا اما أن الحظيرة قد تهدمت وأن الاسرة لم تقم ببنائها من جديد ، واما أن الاسرة فقيرة ولا تملك الا ماشية قليلة أودعتها فى حظيرة أحد الاقارب •

وبالنسبة لموقع كوخ الزوجة ، فانه يوجد بجوار حظيرة الماشية • ويوجد خارج الكوخ ستار ضد الريح حيث تجلس الزوجة بداخله لطهى الطعام • وبالقرب من هذا الستار توجد حفرة فى الارض ليستها الاسرة لدق الذرة • ويعتبر الستار مركزا للحياة الاجتماعية بالنسبة للمرأة المتزوجة • فهناك تستقبل صديقاتها وجاراتها ، سواء أثناء عملها أو فى فترة المساء ، حيث يتبادلن أطراف الحديث فيما بينهن • وفى حالة تعدد الزوجات ، فان كل زوجة يكون لها كوخ مستقل تعيش فيه مع أطفالها • وفى بعض المنازل الكبيرة يوجد كوخ خاص بالشبان من أبناء الاسرة ليناموا فيه كما يوجد أيضا كوخ للفتيات • أما رب الاسرة ، فليس له كوخ خاص به ، وهو ينام فى أكواخ زوجاته •

وكل زوجة لها حديقتها الخاصة بها وكذلك صومعة لتضع فيها الغلال • وفى بعض الاحيان يكون للزوج حديقة خاصة به ، وفى هذه الحالة يقوم بتوزيع المحصول على زوجاته •

والزوج هو الذى يمتلك الماشية ، ولكن العادة قد جرت على أن يقوم بتوزيعها على زوجاته لمجرد الانتفاع بلبنها ، ولكنهن لا يملكن حق التصرف فيها •

ومن الناحية الاقتصادية ، فان الاسرة تنتج غالبية ما تحتاج اليه ، كما أنها تستهلك غالبية ما تنتجه • وبالرغم من ذلك فان هناك أعمالا تحتاج الى التعاون بين الاقارب والاصدقاء مثل صيد الحيوانات وصيد الاسماك ورعى الماشية فى فصل الجفاف • فاذا احتاج أحد الافراد مثلا أن يحفر قناة فى حديقته ، فان أقاربه وأصدقائه يعاونونه فى عمله دون أجر • انه يقدم لهم الثريد والبيرة فقط •

والنوير يسيرون شبه عراة أو عراة كلية • وفى بعض الاحيان قد يضع الرجل قطعة من جلد النمر فوق كتفيه • كما أن المرأة المتزوجة قد تضع قطعة من جلد الخراف أو الماعز حول خصرها •

مجموعة من الرجال يبنون حظيرة للماشـــية

obeikan.com

obeikandl.com

ثانيا ــ ملاحظات عن كيفية اجــراء البحث

خصص ايفانز بريتشارد ، فى بداية أول كتاب ظهر له عن النوير[٥] ، مقدمة introductory تحدث لنا فيها عن المنطقة الجغرافية التى يعيشون فيها وعدد السكان ونظمهم السياسية • كما تحدث كذلك عن مدة الدراسة وكيفية جمع البيانات من الميدان والعقبات التى صادفته أثناء وجوده هناك• ويهمنا أن نشير الى هذه النقاط بشىء من الايجاز :

١ ــ التمــويل :

لقد أجرى هذا البحث بناء على طلب من حكومة الســودان فى ذلك الحين ، كما أنها هى التى قدمت أيضا الجانب الاكبر من التمويل الــلازم للدراســة[٦] •

٢ ــ مــدة الدراســة :

سافر ايفانز بريتشارد الى منطقة البحث عدة مــرات فى الفترة من سنة ١٩٣٠ حتى ١٩٣٦ • وقد بلغت جملة الفترات التى قضاها هناك سنة كاملة تقريبا • ويرى المؤلف أن هذه الفترة تعتبر كافية لاجــراء دراســة سوسيولوجية عن مجتمع مثل مجتمع النوير ، ولكنه يذكر أن المرض الشديد الذى ألم به عامى ١٩٣٥ ، ١٩٣٦ هــو الذى منعــه من البقاء هناك وقتا أكثر من ذلك[٧] •

٣ ــ وسائل جمــع البيانات :

تدلنا الدراسة على أن ايفانز بريتشارد قد اعتمد على أكثر من أداة

---

(٥) E. E. Evans—Pritchard, The Nuer (Oxford, 1940). p. p. 1—15.
(٦) Ibid, p. vii.
(٧) Ibid, p. 14.

لجمع المادة عن النوير • فقبل سفره الى منطقة البحث قرأ كثيرا مما كتبه المبشرون والعسكريون عنها •

وحينما وصل الى هناك ، كانت العقبة الكبرى أمامه هى عدم القدرة على التخاطب مع الاهالى بسهولة[٨] • فلم يكن يوجد هناك فى ذلك الحين أحد من المترجمين ، كما أنه لم يجد أحدا بين النوير يستطيع أن يتحدث اللغة العربية • ونتيجة لكل ذلك فقد قضى كل فترة البعثة الاولى وجزءا من البعثة الثانية فى محاولة تعلم لغة الاهالى حتى يستطيع أن يستخدمها أثناء البحث الحقلى • وقد تمكن فعلا من أن يتكلم لغتهم ، فكان لذلك أثره الكبير فى تفهم الكثير من جوانب الحياة الاجتماعية عند النوير •

وعلاوة على مشكلة اللغة ، فقد كان للظروف السياسية السائدة فى ذلك الحين أثرها على البحث أيضا • ففى أثناء فترة البعثة الاولى كان هناك شعور عدائى نحو الحكومة بسبب هزيمة النوير على يد القوات الحكومية ، وكذلك بسبب التدابير القاسية التى اتخذتها الحكومة بعد ذلك لتأكيد خضوعهم لها • ويذكر ايفانز بريتشارد أنه عندما كان يدخل أحد مخيمات الماشية ، فان النوير كانوا يستقبلونه ليس فقط كشخص أجنبى بل وأيضا كأحد أعدائهم • فالاهالى كانوا يعرضون عنه اذا اتجه نحوهم للحديث معهم[٩] • ولقد تذرع ايفانز بريتشارد بالصبر ، وأمكنه بعد ذلك أن يخلق معهم علاقات ودية وخصوصا بعد أن تعلم لغتهم • فلقد صاروا يزورونه بصفة مستمرة ليقضوا معه الوقت • وهو نفسه يذكر أن خيمته كانت نادرا ما تخلوا من الزوار من الرجال والنساء والاولاد • وكان دائما

---

(٨) Ibid, p. 10.

(٩) Ibid, p. 11.

يناقش معهم الحصول على ما يريد من المعلومات • وعلاوة على ما تقدم ، فان وجود مسكنه وسط مساكن الاهالى قد مكنه من الحصول على كثير من المعلومات عن طريق الملاحظة[١٠] •

هذا ويهمنا أن نشير كذلك الى أن ايفانز بريتشارد قد دعم تقاريره التى نشرها عن النوير بمجموعة كبيرة من الصور الفوتوغرافية والخرائط، أما بالنسبة للاحصاءات ، فاننا نلاحظ أنها نادرة جدا •

٤ ـ نشر نتائـــج البحث :

أشرنا الى أن ايفانز بريتشارد أقام فى بلاد النوير فترة تقـــرب من العام خـــلال السنوات ١٩٣٠ ، ١٩٣١ ، ١٩٣٥ ، ١٩٣٦ ، تمكن خلالها من جمع كثير من المعلومات عنهم • وقد نشرت نتائج تلك الدراسة الحقلية فى عدد من الكتب والمجلات • ومن الكتب التى نشرها عن النوير نذكر :

(أ) النوير The Nuer [11] :

نشر هذا الكتاب لاول مرة سنة ١٩٤٠ : ويقول ايفانز بريتشارد أن دراسة النظم السياسية هى الموضوع الرئيسى فى الكتاب ، لكننا لا نستطيع أن نتفهم تلك النظم الا اذا درسنا البيئة وطرائق معيشتهم • ومن ثم فقد خصص الجزء الاول من الكتاب لوصف المنطقة التى يعيش فيها النـــوير وكيفية حصولهم على ضروريات الحياة •

---

(١٠) Ibid, p.p. 14—15.

(١١) E. E. Evans-Pritchard, The Nuer : A Description of the Modes of Livelihood and Political Institutions of a Nilotic People (Oxford, 1940).

(ب) القرابة والزواج عند النوير

: Kinship and Marriage Among the Nuer

وقد ظهر هذا الكتاب سنة ١٩٥١ • ويذكر المؤلف أنه كان ينوى أن ينشر هذا الكتاب سنة ١٩٤٢ ، الا أن نشوب الحرب العالمية الثانية ، وانشغاله بعد ذلك بدراسة السنوسيين فى ليبيا قد أدى الى تأخير ظهوره • ويحتوى هذا الكتاب على خمسة فصول تبحث فى الاسرة والقرابة والزواج وقيود الزواج(١٢) •

(ج) الدين عند النوير Nuer Religion.

(١٢) E.E. Evans-Pritchard, Kinship And Marriage Among The Nuer (Oxford, (1951), p.p. v.vi.

obeikandl.com

ثالثا — عرض لبعض نتائج الدراسة

(أ) نظام طبقات العمر(١٣)

ان كل فرد من الذكور فى مجتمع النوير ، لكى ينتقل من مرحلة الصبا الى مرحلة الرجولة يجب أن يمر بعملية قاسية • فالجبهة تقطع بواسطة سكين صغير ستة مرات بحيث يمتد القطع الواحد من الاذن اليمنى حتى الاذن اليسرى •

ويظل أثر التئام هذه الجراح واضحا مدى الحياة • ويذكر الاهالى أنهم يرون آثار هذه العملية على عظام الجماجم بعد وفاة أصحابها •

وكل قرية تقوم بهذه العملية على حدة ، وأما بالنسبة لسن الفتيان عند اجرائها فانه يتراوح بين ١٤ و ١٦ سنة • ويتوقف تحديد سنة التكريس على مدى توافر اللبن من اللبن والذرة عند أهل الصبى • والشخص الذى يقوم بهذه العملية يجب أن تكون لديه الخبرة فى هذه الناحية ، وهو يأخذ من كل صبى « حربة لصيد الاسماك » نظير القيام بذلك •

ولابد أن تجرى العملية لعدد من الاولاد فى وقت واحد ، اذ أن الاهالى يعتقدون أن اجراء العملية لصبى واحد فقط سوف يجعله وحيدا، كما أن ذلك سوف يؤدى الى هلاكه لا محالة ! • وفى العادة يتراوح عدد الاولاد الذين يمرون بهذه العملية معا من ٤ الى ١٢ ولدا • ويفضل الاهالى اجراءها فى نهاية فصل الامطار حيث يكون لديهم الطعام الوفير ، هذا فضلا على أنهم يعتقدون أن الرياح الشمالية التى تهب فى تلك الفترة من السنة

---

(١٣) Evans—Pritchard, The Nuer, p. p. 249—266.

لها أثرها فى المساعدة على أن تندمل الجراح • وبعد اجراء العملية يعيش الفتيان معا فى عزلة لفترة من الزمن تبلغ شهرين تقريبا • -

وعند انتهاء هذه الفترة ، تقام الحفلات ابتهاجا بهذه المناسبة ، فتذبح القـــرابين •

وتقدم البيرة للحاضرين ، كما يقـدم الاب لابنه حربة وثورا يسمى الابن باسمه • ويتم تكوين طبقة العمر تدريجيا ، ويستغرق ذلك وقتا قـد يمتد الى عدة أعوام قبل أن تتبلور الطبقة كوحدة اجتماعية • وكل طبقـة من طبقات العمر لها اسم ، وغالبا ما تسمى الطبقة بأسماء الاحداث الهامة التى تقع أثناء موسم التكريس • (فمثـلا سميت احـدى الطبقات باسم Piloal أى « المـاء الاحمر » ، وذلك لان البيرة التى قدمت للفتيان كان لونها يميل الى الاحمرار)[١٤] •

ويذكر ايفانز بريتشارد أن عدد طبقات العمر وقت اجراء البحث كان ستة فقط • وقد تميزت طبقة العمر العليا بقلة عددها نظرا لوفاة غالبيـة أعضـــائها •

والواقع أن نظام طبقـات العمـر يؤثر تأثيرا كبيرا فى العـلاقات الاجتماعية عند النوير • فعندما ينتقل الفتى الى مرحلة الرجولة فان واجباته العائلية تتغير كثيرا (فمثلا يحرم عليه أن يحلب المـاشية طوال حياته)• كما أن سلوكه يتحدد تجاه زملائه من أفراد الطبقة ، وكذلك تجاه غيره من أفراد الطبقات الاخرى • ويهمنا أن نشير فى هذا المجال الى النقاط التالية:

١ — يحرم على الفتى أن يتزوج ابنة أحد زملائه فى طبقة العمر أو أن يتصل بها جنسيا ، حيث أنها تعتبر « ابنته » ، كما أنه يعتبر « أبا » لها•

---

(١٤) C.G. Seligman, Pagan Tribes of The Nilotic Sudan p. 225.

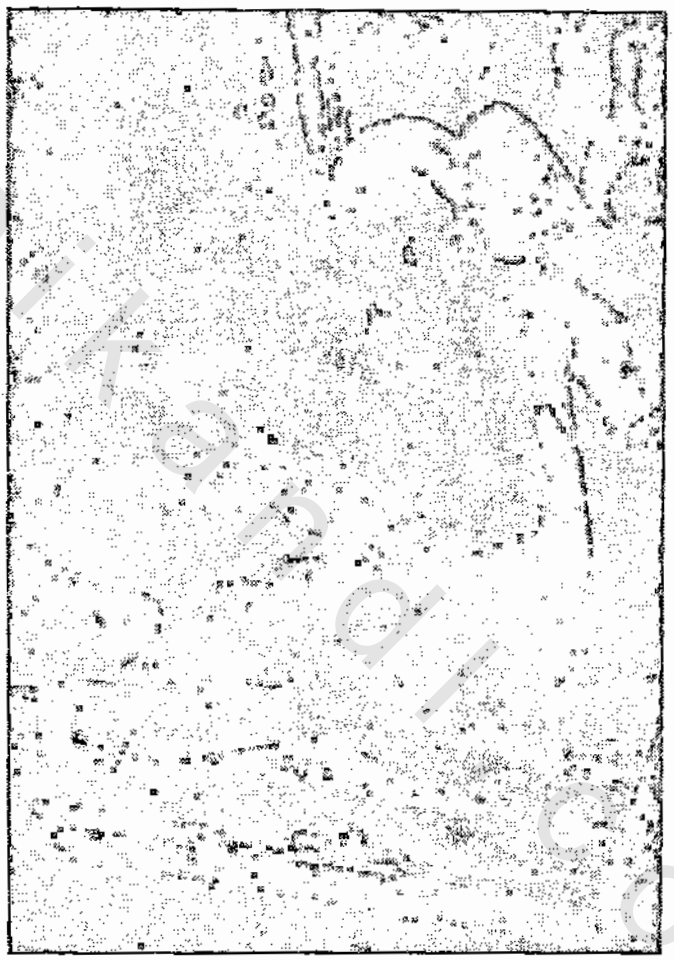

مجموعة من الاولاد بعد إجراء العملية

obeikandl.com

obeikandl.com

٢ — جميع أفراد الطبقة الواحدة يتعاملون فيما بينهم على قدم المساواة • وهم يساعدون بعضهم فى السعى وراء الرزق وفى الحروب ، كما أنهم يقضون وقت فراغهم معا • انهم يؤمنون بوجود رابطة قوية تجمع بينهم وتوحد مصائرهم ولم لا وقد أريقت دماؤهم فى وقت واحد !!

٣ — يبدى أفراد طبقة العمر الواحدة احترامهم لاعضاء طبقات العمر الذين يكبرونهم سنا • ويبدو هذا واضحا أثناء مناقشاتهم مع بعضهم ، وكذلك فى آداب المعاشرة والسلوك •

وبعبارة أخرى يرى النوير أن مرور الفتى بشعائر التكريس يعنى أنه قد أصبح رجلا بمعنى الكلمة • فهو يحق له أن يشترك فى الحروب ، وأن يكون راعيا للماشية ، كما يحق له كذلك أن يغازل الفتيات ويغشى حفلات الرقص ويتزوج الفتاة التى يريدها •

(ب) الزواج عند النوير[١٥]

(١)

عندما تبلغ الفتاة الثانية عشر أو الثالثة عشر من عمرها ، فان الفتيان الذين مروا بحفلات التكريس initiated boys يبدءون فى التودد اليها ومطارحتها الغرام • وفى سن السادسة عشر يكون لديها عشيقا واحدا على الاقل • ويمكننا القول أن مرحلة ما قبل الزواج ، بصفة عامة ، تتسم بانتشار الانحلال الخلقى بين الفتيات •

وفى العادة يتراوح سن الزواج بالنسبة للفتاة بين ١٦ و ١٨ سنة • أما بالنسبة للفتى فان ذلك يتوقف على عوامل كثيرة نذكر منها : حجم الاسرة وترتيب الفتى داخل الاسرة حسب السن وكذلك حجم القطيع الذى تمتلكه الاسرة •

ولابد من موافقة أسرة الفتاة على الفتى الذى يتقدم لزواج ابنتها • غير أنها فى نفس الوقت ، لا تستطيع أن تجبرها على الزواج من شخص لا تحبه • ولكى يتم الزواج ، تقوم أسرة الفتى بدفع المهر ، كما يجب اقامة عدة حفلات بهذه المناسبة نذكر منها حفلة الخطوبة وحفلة الزواج • وغالبا ما تقام هذه الحفلات فى فصل الامطار حيث يتوافر الثريد والبيرة • ويهرع الاهالى من كل حدب لحضور تلك الحفلات وتناول الطعام وشرب البيرة والاشتراك فى الرقص •

واذا ما وجد العريس أن عروسه ليست عذراء Virgin عند انفراده بها فى الليلة الاولى ، فان هذا الامر ليس من شأنه أن يسبب له انزعاجا •

---

(١٥) E.E. Evans-Pritchard, Kinship And Marriage Among The Nuer (Oxford 1951) p. p. 49—123.

وفى صباح اليوم التالى يقوم أحد أفراد أسرة الزوج بحلق شعر رأس الزوجة ، ويعتقد الاهالى أن العملية تدل على أنها « أصبحت زوجة » •

هذا ويهمنا أن نشير الى أن الزوجة بعد ذلك تظل فى مسكن والديها حيث يخصص لها كوخ مستقل تعيش فيه • أما الزوج ، فهو يظل مع أسرته كما كان قبل الزواج • ولكنه يقوم بزيارة زوجته ليلا من آن الى آخر حيث يقضى الليلة معها فى كوخها الذى أعدته لها أسرتها • ويستمر الحال كذلك حتى تنجب الزوجة طفلا • وعندئذ تعتبر أسرة الفتاة أن الزواج قد تم كلية، وأن الفتى قد أصبحت تربطه بهم فعلا صلة قرابة • وتظل الزوجة فى مسكن والديها حتى تفطم طفلها • وعندئذ يقيم الزوج لزوجته كوخا بجوار مسكن أسرته ، ثم يتوجه بعد ذلك لاحضارها من مسكن والديها • وهما لا يمانعان فى ذلك حتى ولو كانت هناك بقية مستحقة من المهر لدى الزوج • وعند انتقال الزوجة الى مسكنها الجديد ، فان أسرتها تعطيها قلة وملعقة واحدة •

(٢)

أوضحنا أنه يجب على الفتى أن يقدم الى أسرة الفتاة المهر المناسب وأن يقيم عدة حفلات حتى يمكن اتمام الزواج • كما أشرنا كذلك الى أن النوير يعتقدون أن الزواج لا يمكن أن يكون تاما كلية فى نظرهم الا اذا أنجبت الزوجة طفلا •

ولكن كيف يتم دفع المهر الى أسرة الفتاة ؟ أو بعبارة أخرى : هل هناك قواعد معينة ينبغى أن يراعيها المجتمع فى هذه الناحية ؟

يذكر ايفانز بريتشارد أن هناك « عددا أمثل » من الماشية يضعه الاهالى فى اعتبارهم عند تحديد قيمة المهر • فالمهر المثالى ينبغى أن يتكون من أربعين رأسا من الماشية (ثيران وبقر وعجول صغيرة) توزع على أهل العروس كما يلى :

والد العروس (أو أبنائه) ١٠

أسرة والد العروس (وتشمل والدى الاب واخوته وأخواته) ١٠

والدة العروس (أو أبنائها) ١٠

أسرة والدة العروس (وتشمل والدى أم العروس واخوتها واخواتها) ١٠

وبعبارة أخرى يلاحظ أن أسرة الفتاة تخص نفسها بنصف المهر (عشرين رأسا) أما أسرة والدها وأسرة والدتها ، فان كلا منهما تختص بربع عدد الماشية فقط .

والواقع أن الاهالى لا يتمسكون بالمطالبة بتنفيذ هذا المهر المثالى فى أغلب الاحيان ، وذلك لان الامور لم تعد مواتية كما كان الحال من قبل (منذ ٣٠ أو ٤٠ سنة قبل اجراء البحث) . فلقد تضاءلت أعداد الماشية فى بلاد النوير نتيجة لانتشار طاعون الماشية بينها والفتك بأعداد كبيرة منها ، علاوة على أن الحكومة قد حرمت على النوير القيام بأية غارات على قبائل الدنكا والاستيلاء على ماشيتهم . كل ذلك قد أثر على المهر ، فأصبح مقداره يتراوح بين ٢٠ و ٣٠ رأسا من الماشية . هذا ويهمنا أن نشير هنا الى أن أهل العروس — أثناء مفاوضتهم بشأن المهر — يطالبون بأن يشتمل على حيوانات ذات ألوان معينة وأحجام وصفات معينة . فهم يطالبون ، مثلا ، بالحصول على بقر يكون حلوبا وقت تقديم المهر .

والذى لا شك فيه أن المهر له أهميته بالنسبة لاستقرار الزواج عند النوير . فالزوجة التى تهجر منزل الزوجية يكون أهلها ملزمون برد المهر الى الزوج . ويلاحظ أنهم لا يكتفون برد الماشية التى سبق أن قدمتها أسرة

الزوج ، بل انه يتعين عليهم أيضا أن يردوا ما أنجبته من العجول • ويذكر ايفانز بريتشارد أنه فى احدى حالات الطلاق أعيدت بقرة ومعها ثمانية عجول أنجبتها فى خلال تلك الفترة • ولما كان ذلك يعتبر أمرا عسيرا فى كثير من الاحيان ، حيث أن الماشية ربما تكون قد دفعت مهرا لافراد آخرين ، فان أفراد أسرة الزوجة يقومون من جانبهم بالضغط على فتاتهم للعودة الى زوجها •

ويرى ايفانز بريتشارد أن هناك أيضا عوامل أخرى تلعب دورها الكبير فى أستقرار الحياة الزوجية • وهذه العوامل هى : المحبة بين الزوجين والسمعة الطيبة للزوج وكذلك حسن النية المتبادلة بين أسرة الزوج وأسرة الزوجة أو بين الزوج واخوة الزوجة ، بل ان ايفانز بريتشارد يذهب الى أن هذه العوامل تعتبر فى نظره أكثر أهمية من المهر بالنسبة لاستقرار الزواج • كما أنه يعارض بشدة ما قد يتبادر الى أذهان البعض من أنه كلما زادت قيمة المهر ازدادت احتمالات استقرار الحياة العائلية •

(٣)

الى هنا كان حديثنا عن النمط العادى لنظام الزواج فى مجتمع النوير • ولكن الى جانب ذلك توجد أشكال أخرى للزواج يهمنا أن نتناولها بالدراسة بشىء من التفصيل :

زواج المرأة بالمرأة Woman—marriage :

فى بعض الاحيان قد ترغب المرأة فى مجتمع النوير فى أن تلعب دور الرجل فى الحياة الاجتماعية • فهى تختار احدى الفتيات لتتزوجها وتقدم لاسرتها المهر اللازم •

وبعد اتمام شعائر الزواج ، تماما كما هو متبع عنـد زواج الرجل ، فان « المرأة الزوج Woman husband » تطلب من أحد أقاربها الذكور أو أحد الاصدقاء أو أحد الجيران أو أحد فقراء الدنكا ان يقوم بالاتصال بالزوجة جنسيا ، وذلك لكى تنجب الزوجة لها أطفالا .

واذا كانت « المرأة الزوج » على درجة من الثراء فانها قـد تتزوج عدة زوجات . وهى تعتبر ، فى هذه الحالة ، الزوج القانونى لهن . ويحق لها أن تطالب بالغرامة الخاصة بالزنا بصفتها زوجا لهن ، اذا ما ثبت لها أن أحد الرجال قد اتصل بهن جنسيا دون الحصول على اذن منها بذلك .

وعندما تنجب الزوجة أطفالا ، فان « المرأة الزوج » تعتبر « أبا » لهم Pater (١٦) . وهم يخاطبونها بقولهم « يا أبى » تماما كما لو كانت رجلا بالفعل ، كما أنهم يحملون اسمها ويرثون ثروتها كذلك .

وأما بالنسبة لعلاقة الزوجة (أو الزوجات) والاطفال بالمرأة الزوج فانها تتسم بالطاعة والاحترام تماما كما هو الحال بالنسبة للزوج الذكر .

واذا ما تقدم أحد الفتيان للزواج من احدى بنات « المرأة الزوج » فان المهر المقدم من أسرة الفتى يوزع بنفس الطريقة المتبعـة فى النمـط العادى للزواج . « فالمرأة الزوج » تحصل على الجزء الخاص بها بصفتها « والد الزوج » أما بالنسبة للرجل الذى أنابته « المرأة الزوج » للاتصال

---

(١٦) يقصد بالاب الاجتماعى Pater الشخص الذى ينتسب اليه الطفل فعلا ، فهو يحمل اسمه ويرث ثروته . أما الاب الفيزيقى genitor فهو الشخص الذى انجب الطفل . وفى كثير من المجتمعات نجد ان الوالد المنجب (الفيزيقى) هو الاب الاجتماعى ، كما نجد أيضا فى بعض الاحيان ان الاب الاجتماعى ليس هو الاب الفيزيقى .

بالزوجة جنسيا لانجاب الاطفال ، فان له أيضا نصيبه من مهر الفتاة • انهم يعطونه بقرة واحدة عن كل فتاة جـزاء ما قام به ، وهم يطلقـون عليهـا « بقرة الانجاب Cow of begetting»

ويذكر ايفانز بريتشارد أن « المـرأة الزوج » غالبـا ما تكون عقيما barren ولهذا فان المجتمع يضعها فى عداد الرجال • كما يلاحظ أيضا أن المرأة العقيم عادة ما تمارس السحر فتحصـل لقاء ذلك على الكثير من الماشية ، ومن ثم فانها تكون على درجة من الثراء •

زواج الشـبح Ghost-Marriage :

فى مجتمع النوير ، يوجد نوع من الزواج أطلق عليه ايفانز بريتشارد اسم « زواج الشبح » • فاذا ما توفى رجل دون أن يكون له وريث شرعى من الذكور ، فان أحد أقاربه مثل الاخ أو ابن الاخ ينبغى عليـه أن يتزوج فتاة باسم الشخص المتوفى • ويعتقد النوير أنه اذا لم يقم أحـد الاقارب بذلك ، فان شبح المتوفى يسكن المنطقة ويعمل على ازعاج أقاربه بها •

وفى هذا النوع من الزواج يكون الشخص المتوفى (الشبح The ghost) هو الاب الاجتماعى للاطفال Pater ، وهو أيضا الزوج الشرعى للزوجة•

ويذكر ايفانز بريتشارد أن هذا النوع من الزواج ينتشر كثيرا فى بلاد النوير • وذلك يرجع ولا شك الى أن كثيرا من الشبان يمـوتون قبـل أن يتزوجوا ، هذا بالاضافة الى أن كثيرا من المتزوجين يموتون قبل أن ينجبوا أطفـالا ذكـورا •

وقد يحدث فى كثير من الاحيان أن يتزوج الرجل فتاة باسم قـريبه المتوفى ، ثم يجد نفسه بعد ذلك غير قادر — من الناحية الاقتصادية — على أن يحصل على زوجة باسمه هو شخصيا • ذلك أن زواج الرجل هناك — كما

سبق وأوضحنا من قبل — يعتمد اعتمادا كليا على الماشية ، كما أنه يتوقف كذلك على ترتيب الابن داخل الاسرة حسب السن • ومن ثم فان الرجل الذى يتزوج فتاة باسم قريبه المتوفى لينجب له أطفالا قد يظل طوال حياته ينتظر اتمام زواج جميع اخوته ، وربما لا يجد بعد ذلك الماشية اللازمة ليتزوج زوجة شرعية لكى تنجب له أطفالا ينتسبون اليه ويرثونه • واذا ما توفى مثل هذا الرجل ، فان أفراد المجتمع يعتبرون أنه ، من الناحية الشرعية ، لم ينجب أطفالا ، ومن ثم فانه يتعين على أحد أقاربه أن يقوم بالواجب نحوه فيتزوج فتاة باسمه •

الزواج الليفيراتى Leviratic marriage :

يذكر ايفانز بريتشارد أن الزوجة — بالرغم من وفاة زوجها — تظل فى نظر المجتمع زوجة له • ولا يجوز لها أن تتزوج مرة ثانية ، كما أن جميع الاطفال الذين تلدهم بعد وفاة الزوج يعتبرون أبناء شرعيين له • ومن طريف ما ذكره ايفانز بريتشارد فى هذا الشأن أن الاهالى قد أبدوا دهشتهم الشديدة حينما أخبرهم بأن الارملة فى انجلترا يحق لها أن تتزوج مرة ثانية بعد وفاة زوجها •

وقد جرت العادة عند النوير على أن يقوم شقيق الزوج المتوفى بالاتصال جنسيا بالارملة لانجاب أطفال باسم المتوفى • **هذا ويهمنا أن نشير الى أن الزواج الليفيراتى يختلف عن زواج الشبح من ناحية المهر واقامة حفلات الزواج ، ففى زواج الشبح نجد أن الزوج النائب عن المتوفى يدفع مهرا لاسرة الفتاة باسم الشخص المتوفى ، كما أنه يقيم احتفالات بمناسبة الزواج تماما كما لو كان المتوفى على قيد الحياة • أما بالنسبة للزواج الليفيراتى فان الزوج القانونى (المتوفى) قد سبق وقدم**

المهر فعلا ، كما أنه قد أقام الحفلات الخاصة بالزواج ، ومن ثم فان شقيق المتوفى لا يدفع مهرا ولا يقيم أية احتفالات .

وتتكون الاسرة فى هذه الحالة من الزوج القانونى (المتوفى) والاطفال والارملة وكذلك شقيق الزوج المتوفى . وحينما يتحدث الاهالى عن الارملة فانهم يشيرون اليها على أنها زوجة المتوفى ، كما أن الاطفال يرون أنهم ينتمون الى أسرة شرعية وأن أباهم هو الشخص المتوفى وليس العم الذى يقيم معهم . بل انهم لا يعتبرونه ضمن أفراد الاسرة ، حتى ولو كان هو فعلا الاب الفيزيقى بالنسبة لهم .

(٤)

وفى بعض الاحيان قد تحدث منازعات بين الزوجين ، ويتعقد الموقف بحيث لا تجد الزوجة منفذا أمامها الا بهجر زوجها ، مع احتفاظها بأطفالها . ثم تبحث لنفسها عن عشيق تعيش معه . وفى هذه الحالة ينبغى على أسرة الزوجة أن ترد المهر الى الزوج . الا أننا نلاحظ أنها لا تفعل ذلك فى بعض الاحيان اما لانها غير قادرة على ذلك فعلا ، واما بحجة أن الزوج هو المتسبب فى هدم حياته الزوجية .

وفى حالة عدم قيام أسرة الزوجة برد المهر الى الزوج ، فان جميع الاطفال الذين تنجبهم الزوجة فيما بعد نتيجة لعلاقتها مع عشيقها يعتبرون أبناء شرعيين لزوجها الذى هجرته .

ويخلص ايفانز بريتشارد مما سبق الى القول بأن النوير لا يعلقون أهمية كبرى على الابوة الفسيولوجية . حقا ان الرجال يفضلون أن ينجبوا أطفالهم بأنفسهم ، الا أنهم مع ذلك يرون أنه ليس من العار أن يربى الانسان طفلا لم ينجبه هو شخصيا . ان الابوة القانونية للطفل

legal fatherhood of the child ى الامر الهام الذى يضعونه نصب أعينهم بصرف النظر عن الشخص الذى قام بالاتصال جنسيا بالزوجة وأدى الى انجاب الطفل •

ولا شك أن ذلك كان له أثره بالنسبة لرأى النوير فيما يتعلق بالزنا • فالزانى فى نظرهم هو الرجل الذى يرتكب الفحشاء مع زوجة رجل آخر ، ويدخل ضمن ذلك زواج الشبح والزواج الليفيراتى •

والزنا يعتبر عملا غير قانونى ، وان كان الاهالى لا ينظرون اليه على أنه عمل غير أخلاقى • ويبدى ايفانز بريتشارد دهشته من انتشار الزنا بالمجتمع وعدم شعور الاهالى بالخجل نتيجة لذلك • كما أنه يذكر أن الاهالى نادرا ما يتشاجرون مع بعضهم من جراء ذلك •

وبالنسبة للاجراءات القانونية ، فى حالة ثبوت الزنا ، فان النوير لديهم جزاءات محددة فى هذا الشأن • فالزانى يدفع للزوج ستة بقرات تعويضا له عن الفسق بزوجته •

ويرى النوير أن الزنا داخل مسكن الزوج يعتبر أكثر خطورة من الزنا فى الغابة ، وذلك لانهم يعتقدون أن ذلك قد يسبب المرض للزوج ، وبعبارة أخرى يرى الاهالى أن الفسق بالزوجة داخل مسكنها يسىء الى الزوج من حيث أنه اعتداء على حقوقه،وكذلك من ناحية صحته هو شخصيا•

واذا ما أنجبت الزوجة طفلا سليم البنية نتيجة لهذه العلاقة غير المشروعة ، فانه يجب على الزوج أن يرد الى الزانى خمس بقرات،ويستبقى لنفسه بقرة واحدة فقط • ويعتقد النوير أنه اذا لم يرد الزوج هذه البقرات الى الزانى ، فان الطفل المولود قد يموت ، ويقوم شبحه بازعاج أبيه الاجتماعى •

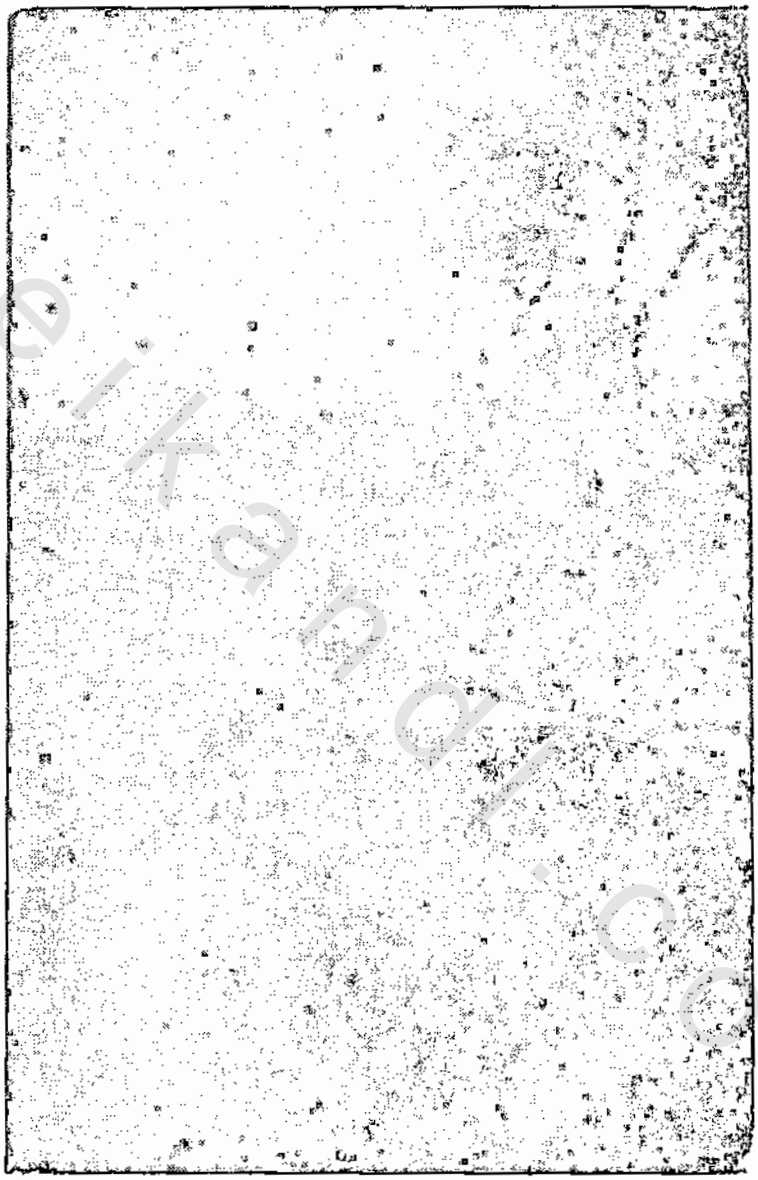

رجـــل من النوبة